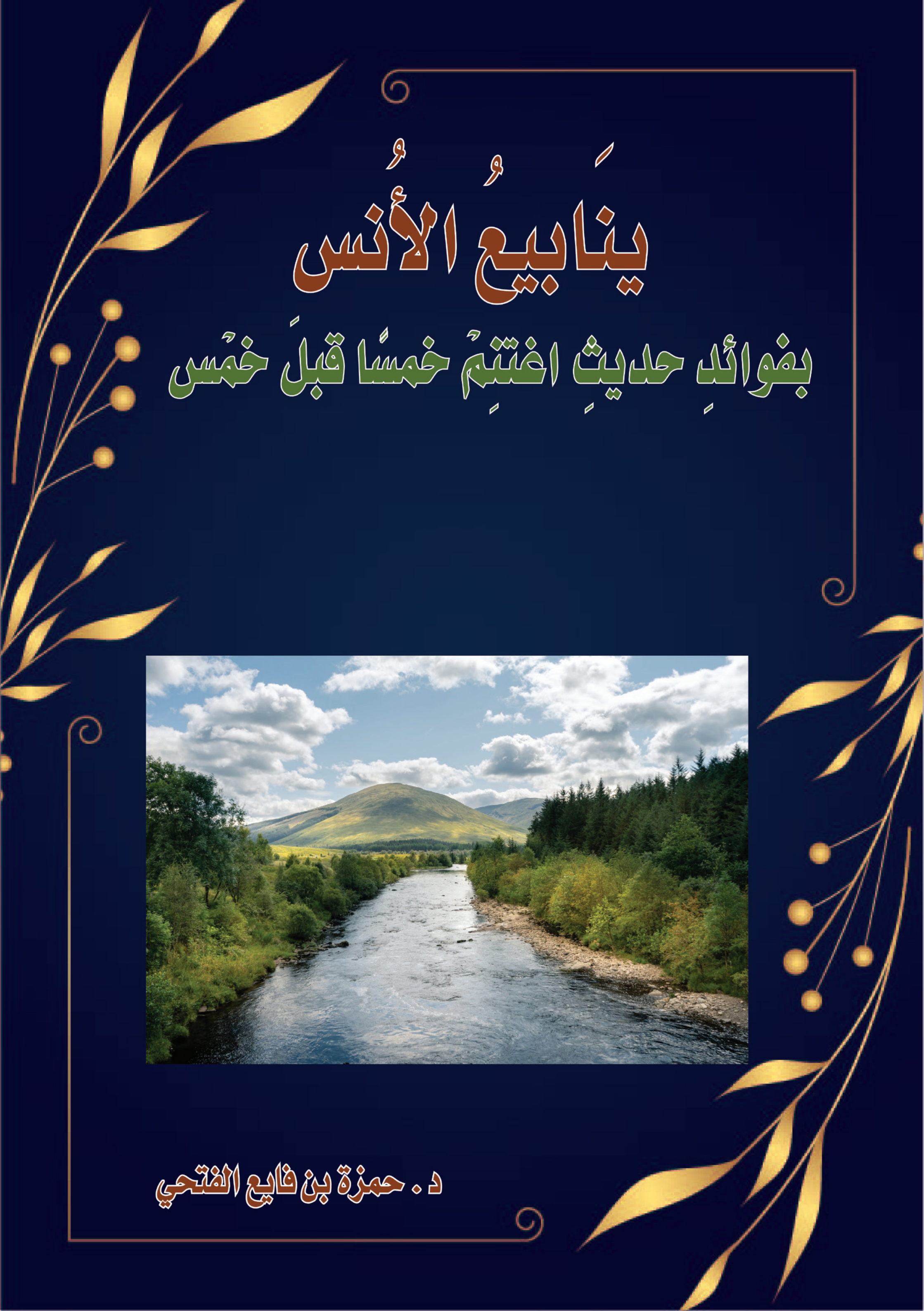


يَنَابِيعُ الأُنس

بفوائدِ حديثِ اغتنِمْ خمسًا قبلَ خمْس

د . حمزة بن فايع الفتحي


بسم الله الرحمن الرحيم

قال عزوجل﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ **سورة آل عمران(١٣٣).**

(رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي)

رواه الترمذي وهو حديث صحيح.



التقديم

الحمدُ للّٰه رب العالمين، الرحمنِ الرحيم مالك يوم الدين،

وصلّى اللّٰه وسلم على نبينا محمد وعلى آلهِ وصحبه أجمعين..

أما بعد:

فمن مواعظِ السننِ الرقراقة، ونصائحِ الأحاديث الدفاقة،

موعظةُ متنٍ عظيم، ونور نهج جليل، اختصر فيه صلى اللّٰه عليه

وسلم دروب الحياة، والفقه تجاهها، وكيفية الانتفاع من الوجود،

ونبه فيه على فرص الحياة ومغانمها..! فيا حظ من هدي إليها،

واستطعم حلاوتها، ويا خسارةَ من تجاهلها، وعاش تائهًا نحوها،

أو وظفها في غير صالحها ..!

(اغتنم خمسا قبل خمس...). لبُّ الغنائم، ودر المناعم..!

حديثٌ من أروع الكلام، وأطايبِ الحديث، يصلح منهجًا،

ويكفي خطبة، ويطيبُ محاضرةً ونصائحا. قد احتوى معان جليلة، وفوائد سامية، وتنبيهات أصيلة، لا يحق لنا وقد غمرتنا دنيانا، أن ننسى همسه ودرسه، أو نضيع فقهه ورسمه.

ويجدر بإخواننا الخطباء والدعاة جعله موعظةً وحكمة، ترِنّ في مسامع الحضور، وذكرى تنبه من غفل. وله في طلاب العلم بلاغ وبلغة، لأنه مادة حياتهم ونشاطهم، ومغانمه عزهم وأمجادهم، وما احتاج أحد ربما لمثل هذه النعم كطلاب العلم الجادين، فبالشباب تعظمُ الهمة، وبالصحة يكبر العطاء، وبالفراغ يعظم الإنتاج، وبالغنى تحرز الآلات، وتذلل الصعابُ.

وهو وإن كان موعظةَ كل عاقل، لكنه أخصُّ في حق الطلاب، وأدق في بطون الحفَظة، وأوعى في عيون العابدين والكملة.

وإذا مردوا على هذا النهج، لم يستطيعوا الفكاك، ولم يغادروا حدائقه، ولو شق طريقها، أو نغصت بعض ثمارها . ومن الريف

العجيب هنا ما حكاه المحقق ابن القيم عن شيخه الإمام ابن تيمية في كتابه (روضة المحبين)، قال :

(وحدَّثني شيخنا -يعني ابنَ تيمية- قال:ابتدأني مرضٌ، فقال لي الطبيب: إن مُطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النفس إذا فرحت وسُرَّت وقَوِيت الطبيعةُ فدفعت المرضَ؟ فقال: بلى، فقلت له:فإن نفسي تُسرُّ بالعلم فتقوى به الطبيعةُ فأجدُ راحةً، فقال: هذا خارجٌ عن علاجنا ...) .

فانظر وتأمل هنا... فلولا استطعامه فضل الصحة والمنجزات العلمية فيها، وما يفيض به الزمانُ، ما قاتل على الوقت واستغرقه جدًا وطلابًا، فرحمه الله رحمةً واسعة.

على أنه أهدانا درسَ المداواة بالعلم، وأن من تلذذ بشيء لا يسلو بدونه...!

ومن جماله بساطتُه ويسره، وفهم العقول والأسماع له بحيث يتلى فيبلغ غايته، ويودي توجيهه.

ومثل هذه المواعظ الصحيحة هي الأليق بالبث والنشر، ومن المؤسف تقصيرُ بعض إخواننا الدعاةِ تجاه هذه النصوص المؤثرة، وانزوائهم تحت مظلة موضوعات باردةٍ مكررة...!

ولذلك كان من الوعي الدعوي تصديرُ الدروس والخطب بإشراقة آية، أو نضارة حديث، والتفقه فيها إجمالًا، لينتفع الناس، ويرتبطوا بينبوعهم الأصلي، وليعظمَ موقع الوحي من نفوسهم .

حفظ اللّٰه البلاد والعباد، وأصلح نفوسنا وطهر قلوبنا ..

واللّٰه الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

جدة بوابة الحرمين الشريفين

٧/٢/١٤٤٤هـ

نص الحديث

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمسا قبل خمس: شبابكَ قبل هرمك، وصحتكَ قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغكَ قبل شغلك، وحياتك قبل موتك).[1]

(1) أخرجه ابنُ أبي الدنيا في (قصر الأمل) (١١١)، والحاكم (٧٨٤٦)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (١٠٢٤٨) والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٧٢٩) ١/ ٤٢٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥).

ترجمةُ راوي الحديث:

حبر الأمة، وترجمان القرآن، العالم المجاهد المتفنن في عدة علوم، وصاحب التقى والذكاء والعبقرية .

قال الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء: «حَبْرُ الأُمَّةِ، وَفَقِيْهُ العَصْرِ، وَإِمَامُ التَّفْسِيْرِ، أَبُو العَبَّاسِ عَبْدُ اللّٰهِ، ابْنُ عَمِّ رَسُوْلِ اللّٰهِ -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ شَيْبَةَ بنِ هَاشِمٍ، وَاسْمُهُ عَمْرُو بنُ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلاَبِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرٍ القُرَشِيُّ، الهَاشِمِيُّ، المَكِّيُّ، الأَمِيْرُ -رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ-».

وقد لازم النبي عليه الصلاة والسلام وروى عنه، ودعا له النبي قائلًا: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، وقال أيضًا:

«اللهم علمه الكتاب، اللهم علمه الحكمة»، توفي النبي وعمره ثلاث عشرة سنة، فكان يفسّر القرآن بعد موت النبي، حتى لُقِّب بـ حّبر الأمة وترجمان القرآن، والحبر والبحر.

وله قصته مع جاره الأنصاري التي تدل على علو همته وجلاده العلمي، حتى مكنه الله فقال الأنصاري لما مجده وظهوره :» هذا الفتى أعقل مني « .

وقال عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: « نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس». وقال أيضًا : « لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل».

وقال الأعمش رحمه الله : «كَانَ ابْنُ عَبّاسٍ إِذَا رَأَيْتَهُ قُلْتَ: أَجْمَلُ النّاسِ، فَإِذَا تَكَلّمَ قُلْتَ: أَفْصَحُ النّاسِ، فَإِذَا حَدّثَ قُلْتَ: أَعْلَمُ

النّاسِ».

وقال مجاهد: كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه نورًا

توفي ابن عباس بالطائف في سنة ٦٨ هـ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة.

ولا يزال اسمه مدويًا في المكتبة الإسلامية، وفقهياته تضوعُ بلا حدود، رضي الله عنه، وعن الصحب الكرام.

فيه مسائل وفوائد :

١-حقيقةُ الاغتنام :

الظفر بالفرص وانتهازها قبل ذهابها وحلول الندم، فالظافر بها في مناسباتها مغتنم لها عاقل، ومضيعها خاسر لها وفاقد .

٢- لماذا الاغتنام ؟:

إنما تعيّنَ ذلك الاغتنام بسبب وجود هذه النعم واحتضان المرء لها، فهو في عيش رغيد، وصحة طيبة، وفراغ مديد، وغنًى مبارك، وشباب وثاب، إن لم يتداركه الآن، ربما ذهبت وتلاشت، فندم وتحسر، وتجرع مرارت الأسف...!

٣- مغانمُ الحياة :

تتكونُ في عمر محدود، ومسخرات ربانية، ونعم لا خير

لها، وأعوان حاضرون، كما قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الجاثية: ١٣ .

وقتا تعالى : ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ النحل: ٣٤.

وقال : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لقمان: ٢٠ .

٤- غنيمةُ الشباب:

تعني استثمار مواد الصحة فيه والنشاط والقدرة على الأعمال، فما تنتجه مرحلة الشباب لا يقارن بالطفولة والشيخوخة، والشباب معناه: الفتاء والحداثة شب يشب شبابا و شبيبة.

واصطلاحا: قال في المعجم الوسيط: هو من أدرك سن البلوغ إلى سن الرجولة و الشباب، هو الحداثة و الشباب إلي الشيء له.

وقد ذكر الثعالبي في كتابه فقه اللغة أن الشباب جمع شاب وهو ما بين الثلاثين والأربعين، وما بكت العرب على شيء كما بكت على الشباب حتى قال قائلهم:

ألا ليت الشباب يعود يوما	فأخبره بما فعل المشيبُ

قال علي رضي الله عنه :

شيئان لو بكت الدماءُ عليهما	عيناي حتى تأذنا بذهاب
لن تبلغ المعشار من حقها	فقدُ الشباب وفرقة الأحبابِ

وقال بعضُ البلغاء: « الشباب باكورةُ الحياة، وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها، والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء و أكثر الرسائل لقلوبهن». ولذلك قال الشاعر :

أحلى الرجال مع النساء مواقعا	من كان أشبههم بهن خدودا

وقال علي رضي اللّه عنه :» شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما : الشباب والعافية».

وقال الشاعر دعبل الخزاعي :

إن المشيبَ رداءُ الحلم والأدبِ	كما الشبابُ رداء اللهو واللعبِ

٥- غنيمةُ الصحة :

بمعنى مبادرتها حالة النشاط قبل مجئ السقم والتعب، والصحة في المعجم الوسيط : العافية والسلامة، وقيل: السَّلامَةُ مِنَ الأَمْـراضِ، وَضِدُّهَا : السُّقْمُ وَالعِلّةُ، يُقالُ: صَحَّ الـمَرِيضُ يَصِحُّ صِحَّةً أيْ: شُفِيَ وسَلِمَ، وَجِسْمٌ صَحِيحٌ أيْ: سِليمٌ وَخَالِي مِنَ الأَمْراضِ، وَأصْلُ الصِّحّةِ: البَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، الصِّحَّةُ في البدن: حالة طبيعية تجري أفعالُه معها على المجرى الطبيعي بلا وهن ولا سقم .

٦- غنيمةُ الغنى:

وتعني الظفر بمواده الثرائية، وبذله في صلاح النفس وزكاتها، ونفع المسلمين .

والغنى معناه: الغِنى: السّعَةُ وكَثْرَةُ المالِ، يُقال: غَنِيَ الرّجُلُ، يَغْنَى، فهو غَنِيٌّ: إذا كان مُوسِعاً كَثِيرَ المالِ. وضِدُّه: الفَقْرُ. وأَصْلُه: عَدَمُ الحاجَةِ لِلْغَيْرِ، سَواءً كان ذلك في المالِ، أو في القُوّةِ، أو العِلْمِ، أو غَيْرِ ذلك. ومِنْ مَعانِيه: الكِفايَةُ والإجْزاءُ.

واصطلاحا: عند الفقهاء هو ما يقوم بقوت المرء وأهله على الشبع من قوت مثله وبكسوتهم كذلك وسكناهم وبمثل حاله من مركب وزي .

٧- غنيمة الفراغ:

الذي هو جزء من الزمان والوقت المحدود، خليق بكل عاقل استثماره وعمارته بالخير والمنافع، وجعله حجةً له عند الله .

والفراغ لغةً: الخلو، أي خالٍ من أي عمل أو التزام، وكلام فارغ: أي خالٍ من المحتوى، لا قيمة له.

وهو عبارة عن وقت خالٍ من واجبات ومسؤوليات العمل، يقصر أصحابه في استثماره والعناية به.

٨- غنيمةُ الحياة:

وهي إدراك نعمة الحياة، وأنك فيها كائن حي، قد سُخرت لك المناعم، وقصدتك الأطايب، ولم تحضر فيها الآجال، أو تتوالَ المنغصات ..!

وهي ظرف للعمل والابتلاء، وميدان التنافس والمسارعة.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك: ٢.

٩- أضداد هذه الغنائم:

شيخوخةٌ تسلبكَ طراوة الشباب، ومرض يفتكُ بالصحة ويجعلك مستودعا للعقاقير، وزائرا ثابتا في المَشافي، وأشغالًا تنهشك من كل مكان، فتعدم البركة، ويتلاشى الإنجاز، وفقرًا يودي بالثروة، ويريقُ ماء الوجه، ويحرمك حسنات المال وهباته. أو موتا مفاجئًا، يقصم الحياةَ، ويفري المستقبل، ويعجل بالدار الآخرة، والله المستعان.

١٠- معنى اغتنم خمسا قبل خمس:

أي بادر إلى خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء أخرى تضادها، وتزيلُ حلاوتها، وتبددُ ثمارها، ولا يعرفُ الجاهل قدرها حتى يُبتلى بضدها، فتدرك نعمة الشباب والصحة حينما تهرمُ وتتوالى عليك الأسقامُ ..! ولا تتفكر في حلاوة المال

إلا إذا داهمك الفقر، واغتالته الديون. ولا يعي المسلم فضلُ الوقت والفراغ، إلا إذا شغل وشيبته شؤون الدنيا ومطالبها..!

ولا يفقه معاني الحياة والمسارعة فيها إلا اذا وافاه الأجل، وانقضى العمر، وانتهت رحلة الحياة الدنيا..!

١١- تعظيم السلف للأوقات:

قد وعَى السلف الصالح قيمةَ الوقت، وثمنية الزمن، فاستغرقوه في طاعة الله، وضربوا أروع النماذج والأعاجيب في استغلاله .

وقد نقلت قصصٌ وأخبار في ذلك، ونبه عليها العلماء في كتب المواعظ والرقائق والآداب، ومن أحسن ما كتب في هذا الباب، كتاب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الشامي (قيمة الزمن) فمما احتواه واذاعه :

قال ابن مسعود رضي اللّٰه عنه :

(ما ندمتُ على شيء، ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي!)

وقال الحسن البصري رحمه اللّٰه :

(يا ابن آدم إنما أنت أيام!، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك)

وقال أيضًا :

(أدركتُ أقواما كانوا على أوقاتهم أشدّ منكم حرصا على دراهمكم!)

قال محمود بن الحسن الوراق رحمه اللّٰه :

يحب الْفَتَى طول البقاء كأنه	على ثقة أن البقاء بقاء
زيادته فِي الجسم نقص حياته	وأنى على نقص الحياة نماءُ

كان الخليل بن أحمد رحمه اللّٰه يقول:

(أثقلُ الساعاتِ علي ساعةٌ آكل فيها!)

والإمام المحدث حماد بن سلمة رحمه اللّٰه:

قالوا عنه:» مارأيته ضاحكا؛لإنشغاله، إما يُحدث أو يقرأ أو يُسبح أو يصلي». ولو قيل له إنك تموت غداً، ما قدر أن يزيد في عمله شيئًا!

وقال الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رضي اللّٰه عنه:

«إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما» .

كان محمد بن الحسن رحمه اللّٰه لا ينام الليل، وكان يضع عنده كتبا، فإذا مل من نوع نظر في آخر، وكان يزيل نومه بالماء

والإمام ابن عقيل رحمه اللّٰه لا يضيع ساعة من وقته .

ويقول: «لا يحل أن أضيع ساعةً من عمري وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين».

قال فيه الحافظُ ابن الجوزي رحمه اللّٰه:

«كان ابن عقيل دائم الاشتغال بالعلم، وكان له الخاطر العاطر،والبحث عن الغوامض والدقائق، وجعل كتابه:(الفنون) مناطا لخواطره» .

وقال الحافظ الذهبي رحمه اللّٰه : « لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب».

وقال ابن رجب رحمه اللّٰه : وقال بعضهم: هو ثماني مئة مجلدة!

وكان السلف يحذرون من تضييع الزمان، قال الفضيل بن

عياض رحمه اللّٰه : «أعـرفُ من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة!

وكان داود الطائي رحمه اللّٰه يستف الفتيت، ويقول:» بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية» .

وأخبارهم عجائب ونفائس ﾐ هذا السياق، ولعل لنا رجعة إليها بعد مسائل لأهميتها، ولما فيها من موقظاتِ الهمم، ومعالجة الغفلة الجاثمة على الأجيال الحديثة، ومدمني التنعم والرخاوة، واللّٰه الموفق .

١٢- ﾐ السنة شواهد على تعظيم الوقت والعناية به، ومبادرته بالاستغلال والاستثمار:

تحتوي معنى الحديث السابق كالذي رواه والترمذي ﾐ جامِعِه أنَّ رسولَ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قالَ: «ولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ ».[1]

وحديث ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: «الصحة والفراغ».[2]

وحديث أبى هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا - أَوْ : يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا - يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا).[3]

قال النووي رحمه الله:» معنى الحديث الحث على المبادرة

(١) الترمذي (٢٤١٦).
(٢) رواه البخاري (٦٤١٢).
(٣) مسلم (١١٨).

إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر . ووصف صلى الله عليه وسلم نوعا من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمنا ثم يصبح كافرا أو عكسه . شك الراوي، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب . والله أعلم» .[1]

١٣- في الحديث تحذير للناس عن تضييع الأوقات، وامتهان تلكم النعم، أو وضعها في غير موضعها، أو عدم استثمارها في ساعاتها الذهبية، قال تعالى منكرًا على الكفار : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)﴾ فاطر ٣٦-٣٧.

(١) شرح مسلم للنووي ١٣٣/٢ .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره:» أَيْ: أَوَمَا عِشْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَعْمَارًا لَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يَنْتَفِعُ بِالْحَقِّ لَانْتَفَعْتُمْ بِهِ فِي مُدَّةِ عُمْرِكُمْ؟

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مِقْدَارِ الْعُمُرِ الْمُرَادِ هَاهُنَا فَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ أَنَّهُ قَالَ: مِقْدَارُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَالَ قَتَادَةُ: اعْلَمُوا أَنَّ طُولَ الْعُمُرِ حُجَّةٌ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نُعَيَّرَ بِطُولِ الْعُمُرِ، قَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾، وَإِنَّ فِيهِمْ لَابْنَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَذَا قَالَ أَبُو غَالِبٍ الشَّيْبَانِيُّ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ قَالَ: عِشْرِينَ سَنَةً.

وَقَالَ هُشَيْمٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ زَاذَانَ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ:

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ قَالَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَقَالَ هُشَيْم أَيْضًا، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّهُ كَانَ

يَقُولُ: إِذَا بَلَغَ أَحَدُكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلْيَأْخُذْ حِذْرَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ....».

١٤- ومن الاغتنام الشبابي:

المحافظة عليه، بالذكر وحُسن الحركة، وتوظيفه في طاعة

الله، وجعل قواه فيما ترتقي به روحه وتعلو عزيمته .

١٥- ويكون الاغتنام الصحي:

بالمحافظة على الطاعات، وعمل اليوم والليلة، والغذاء

المناسب، وجعل تلك الصحة في مرضاة الله، وخدمة الأحبةِ

والإخوان، وعدم الإملال والإثقال، قال في الحديث: (وإنّ

لجسدك عليك حقا).

١٦- الاغتنام المالي يكون:

بمراقبة المال وجلبه من طرق الحلال، وأداء الزكوات، وتعاهد الاخلة والجيران، ونفع المسلمين وقضاء حوائجهم، وأن يرى اثره عليك طعامًا وملابس، وأن تتواضع فيه ولا تترفع.

١٧- والاغتنام الزماني:

يكونُ بملء الفراغ، واستثمار اللحظات، واستغراق الزمان بالنافع المفيد، والجيد المتين، الذي يقربك من اللّٰه .

قال العلامةُ ابن القيم رحمه اللّٰه:

« العارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيعه لم يستدركه أبدا..

فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية

في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر أسرع من السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبا من حياته» .

١٨- والاغتنام الحياتي :

أو الحيوي بحيث يسارع في الخيرات إبان حياته المقدرة قبل أن يفجأه الموت بغتة وهو لا يشعر، فيندم ولان ساعة مندم، كما قال الذين كفروا وضيعوا، وحكي ذلك في مواضع من القرآن، وهو شكل من الحسرات الفائتة، والندامات الخاسرة ... ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السجدة ١٢.

﴿حَتّى إذا جاءَ أحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أعْمَلُ صالِحًا فِيما تَرَكْتُ﴾ المؤمنون : ٩٩-١٠٠ .

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ المنافقون ١٠.

وأشار صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر المشهور: قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.[1]

قال في الفتح : « وقال ابن بطال: لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس، بل هو مستوحش منهم؛ إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه مستأنس به، فهو ذليل في نفسه خائف، وكذلك عابر

(١) البخاري (٦٤١٦).

السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته عليه، وتخفيفه من الأثقال غير متثبت بما يمنعه من قطع سفره معه، زاده وراحلته يبلغانه إلى بغيته من قصده، شبهه بهما وفي ذلك إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل، وقال غيره: هذا الحديث أصل في الحث على الفراغ عن الدنيا، والزهد فيها والاحتقار لها والقناعة فيها بالبلغة، وقال النووي: معنى الحديث لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، وقال غيره: عابر السبيل هو المار على الطريق؛ طالبا وطنه فالمرء في الدنيا كعبد أرسله سيده في حاجة إلى غير بلده، فشأنه أن يبادر بفعل

ما أرسل فيه، ثم يعود إلى وطنه ولا يتعلق بشيء غير ما هو فيه..»[١]

١٩- وعظمت مرحلةُ الشباب لأنها مرحلة القوة والنشاط والقدرة العملية والجهادية والإنتاجية:

وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ الروم ٥٤.

قال ابن كثير رحمه الله:» يُنَبِّهُ تَعَالَى عَلَى تَنَقُّلِ الْإِنْسَانِ فِي أَطْوَارِ الْخَلْقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَأَصْلُهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ، ثُمَّ يَصِيرُ عِظَامًا ثُمَّ يُكسَى لَحْمًا، ويُنفخ

(١) فتح الباري١١/٢٣٤.

فِيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ضَعِيفًا نَحِيفًا وَاهِنَ الْقُوَى. ثُمَّ يَشِبُّ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَكُونَ صَغِيرًا، ثُمَّ حَدَثًا، ثُمَّ مُرَاهِقًا، ثُمَّ شَابًّا. وَهُوَ الْقُوَّةُ بَعْدَ الضَّعْفِ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي النَّقْصِ فَيَكْتَهِلُ، ثُمَّ يَشِيخُ ثُمَّ يَهْرَمُ، وَهُوَ الضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ. فَتَضْعُفُ الْهِمَّةُ وَالْحَرَكَةُ وَالْبَطْشُ، وَتَشِيبُ اللِّمَّة، وَتَتَغَيَّرُ الصِّفَاتُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أَيْ: يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَصَرَّفُ فِي عَبِيدِهِ بِمَا يُرِيدُ، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.[1]

٢٠- بزوال الشباب تحصل مغباتُ الهرم والشيخوخة:

وبه يغادر القوي الجاد حدائق الصحة والحركة، ويبيت مرتعا للاسقام والمتاعب، وتقصده الهموم من كل مكان، ولم يعرف ذلك

(١) انظر تفسير ابن كثير ٦/٣٢٧ .

الا من وصل الهرم، وطال به العمر، واستشعر فقدان الصحة والمتعة، وقد تغنى الشعراء بذلك :

فقال أبو العتاهية:

بَكيتُ عَلى الشَبابِ بِدَمعِ عَيني	فَلَم يُغنِ البُكاءُ وَلا النَحيبُ
فَيا أَسَفا أَسِفتُ عَلى شَبابٍ	نَعاهُ الشَيبُ وَالرَأسُ الخَضيبُ
عَريتُ مِنَ الشَبابِ وَكانَ غَضّاً	كَما يَعرى مِنَ الوَرَقِ القَضيبُ
فَيا لَيتَ الشَبابَ يَعودُ يَوماً	فَأُخبِرُهُ بِما صَنَعَ المَشيبُ

وقال المتنبي :

وَلَقَد بَكَيتُ عَلى الشَبابِ وَلِمَّتي	مُسوَدَّةٌ وَلِماءِ وَجهِيَ رَونَقُ
حَذَراً عَلَيهِ قَبلَ يَومِ فِراقِهِ	حَتّى لَكِدتُ بِماءِ جَفنِيَ أَشرَقُ
وَالمَوتُ آتٍ وَالنُفوسُ نَفائِسٌ	وَالمُستَغِرُّ بِما لَدَيهِ الأَحمَقُ
وَالمَرءُ يَأمُلُ وَالحَياةُ شَهِيَّةٌ	وَالشَيبُ أَوقَرُ وَالشَبيبَةُ أَنزَقُ

يقول أبو عمرو بن العلاء: ما بكت العرب شيئًا ما بكت الشباب، وما بلغت ما يستحقه وقال الأصمعي: أحسن أنماط الشعر المراثي، والبكاء على الشباب. وقال عبد اللّٰه بن عباس: « الدنيا العافية والشباب الصحة..

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّٰه: (ما شبهتُ الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط).

قالوا شبابك قد مضت أيامه	بالعيش قُلْتُ؛ وَقَدْ مَضَتْ أيّامي
للّٰه! أيّةُ نِعْمةٍ كَانَ الصِّبا	لو أَنّها وُصِلَتْ بِطُولِ دَوَامِ
حَسَرَ المَشِيُبُ قناعه عن رأسه	وصَحَا العَوَاذِلُ بَعْدَ طُولِ مَلامَ
فكأنّ ذاكَ العيشَ ظِلُّ غَمَامَةٍ	وكأنَّ ذَاكَ اللهوَ طَيْفُ مَنَامِ

ولابنِ عبد ربه الأندلسي:

قالوا شبابك قد مضت أيامه	بالعيش قُلْتُ: وَقَدْ مَضَتْ أيّامي
للّه! أيّةُ نِعْمةٍ كَان الصِّبا	لو أَنّها وُصِلَتْ بِطُولِ دَوَامِ
حَسَرَ المَشِيْبُ قناعه عن رأسه	وصَحا العَوَاذلُ بَعْدَ طُولِ مَلامِ
فكأنّ ذاكَ العيشَ ظِلُّ غَمَامَةٍ	وكأنَّ ذَاكَ اللهوَ طَيْفُ مَنَامِ

ولآخر:

للّه أيام الشباب وعصره	لَوْ يُسْتَعارُ جديده فَيُعارُ
ما كانَ أَقْصَرَ لَيْلَهُ ونَهَارَه	وكذاكَ أيّامُ السُّرورِ قِصَارُ

٢١- وفي فقدان الصحة:

فقدان للعمل السابق، وذهاب الأوراد، وحلول الوهن والوصب، وقلة الحركة، ولا يسلي المؤمن إلا حديثُ كتب الصواب لمن كان عاملا مثابرا، خلافا للصالح المنضبط، جاء في

المتفق عليه عن ابي موسى ان النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال: (إذا مرضَ العبدُ أو سافرَ كتبَ لَهُ من العملِ ما كانَ يعملُهُ وَهوَ صحيحٌ مقيمٌ).[1]

٢٢- وفي ذهاب الغنى والمال:

ذهاب المعروف والصدقات، وصناعة الإحسان الاجتماعي والإخائي، ولم يبق لك الا فضلُ الذات ومكارم الأخلاق، ويستطلع العاقل بماله نفع نفسه وبلاده، وبناء المساجد والمدارس وكفالة مئات الطلاب الفقراء، وتاسيس العمل الدعوي في رحاب المعمورة..! فيكون ماله من أسباب دخول الجنة، والرقي في درجاتها العالية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ فاطر: ٢٩ .

(١) البخاري (٢٩٩٦).

قال في فتح البيان:

«(وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) فيه حث على الإنفاق كيفما تهيأ فإن تهيأ سراً فهو أفضل، وإلا فعلانية ولا يمنعه ظنه أن يكون رياء، فإن ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء ويمكن أن يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة. وبالعلانية الزكاة، وإليه أشار في التقرير قاله الكرخي. وقيل: السر في المسنونة والعلانية في المفروضة.

(يرجون تجارة) أي ثواب الطاعة (لن تبور) أي لن تكسد ولن تهلك والأخبار برجائهم لثواب ما عملوا بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم..».[1]

٢٣- وفي فقدان الوقت والفراغ:

(١) انظر فتح البيان للقنوجي١١/٢٤٦ .

أسف المشغول المهموم، الذي يبكي على ساعات الزمان، ولحظات الخلاء، وقد تقرقت به النفس، وتعثر العقل، وبات مشغول الهم، كثير التجوال، لا يبقي على شيء، يود الدروس والحِلق، ويحرم الحدايق الايمانية، والمباهج الفكرية...! وقد صح دعاؤه صلى اللّه عليه وسلم: (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغَ علمنا).[1]

٢٤- وفي فقدان الحياة:

انقطاعُ العمل، وفُجاءة الموت، وحضور المحاسبة، والدخول للدار البرزخية، وشهود ما قدمه، إن خيراً فخير، وإن شرًا فشر..!

والواجبُ التفكر في ذلك واهتباله، فقد خلقنا سبحانه وسخر

(١) الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٢٣٤)، والطبراني في (الدعاء) (١٩١١).

لنا الكون بعجائبه وآياته.. فالحياة نعمة، والعمر نعمة، وهيأ سبحانه فيها أسباب السعادة والانشراح، والانتفاع والعمران، فالنعم تحوطنا من كل مكان، فقال -تعالى-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم:٣٢-٣٤).

٢٥- أن هذه النعم متنوعة في بني آدم:

وقد تجتمع في بعض الناس، فيجمع الله له الصحة والشباب، مع المال والعمران، وحسن استثمار الحياة ومبادرتها بالصالح الماتع، وجاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم : (يا عمرو، نعم المال الصالح للرجل الصالح).[١]

(١) البخاري في (الأدب المفرد) (٢٩٩)، والحاكم (٢١٣٠)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (١٢٤٨).

٢٦- أن من عُـدم بعضها، يعوض بغيرها، فيعيش هناءةً لا يجدها سواه:

فمن سُلب المال، قد يعيش مرتاح البال، عَمِيقٍ التقوى لربه، مستغلا زمانه، ذاكرًا وراضيا..! فقد تلاقي صحيحًا، ولكنه ضائع الوجهة، وتوافق مريضًا ولكنه عظيمُ الصلاح، كثير الذكر والشكر، ولا يظلم ربك أحدا..!

والصحابة في الجملة فقهوا هذا الحديث، وقد ابتلوا بالفقر والحياة الشديدة، ولكنهم كانوا أبرارا في حيواتهم، وانشرحت صدورُهم بصحبة رسول اللّٰه والأنس بمجالسه وأحاديثه.

٢٦ – والمغتنمُ مسارعٌ يقظ:

قد وعَى هذه المواعظ الغانمة ويعني ذلك نباهته وعلو همته، فلا يفرط في زهراتها، ولا يبدد أنسامها .

وفي الاغتنام :

مسارعة وبادرة : ترفض البطء والانتظار .

وعلو همة: من شأنها طلب المزيد، وعدم الرضا بالقليل .

واستغلال اللحظات، والضن بالفوائد والهبات.

وطموح متصل، وارتقاء ملتهب، كما قيل :

إذا غامَرتَ في شَرَفٍ مَرومٍ	فَلا تَقنَع بِما دونَ النُجومِ
فَطَعمُ المَوتِ في أَمرٍ صَغيرٍ	كَطَعمِ المَوتِ في أَمرٍ عَظيمِ

وقال المتنبي أيضًا :

لولا المشقةُ ساد النَّاسُ كلُّهمُ	الجُودُ يُفقرُ والإقْدامُ قتَّالُ

وله أيضًا:

وإذا كانت النفوسُ كبارًا	تعِبتْ في مُرادِها الأجسامُ

وقال أيضًا:

ولم أرَ في عيوبِ النَّاسِ شيئًا	كنقصِ القادرين على التَّمامِ

وقال ابن هانئ الأندلسي:

ولم أجِد الإنسانَ إلا ابن سعيِه	فمن كان أسعَى كان بالمجدِ أجدرا
وبالهمةِ العلياءِ يرقَى إلى العُلا	فمن كان أرقَى هِمَّةً كان أظهرا
ولم يتأخرْ مَن يريدُ تقدمًا	ولم يتقدمْ مَن يريدُ تأخرا

٢٧- يكتسبُ الاغتنامُ الحقيقي والجدية في الأمور:

من خلال الوعي الشرعي والوجودي، ولَم كانت هذه الحياة، ومنابع النور الموضوعة فيها من سواها، وإدراك المؤمن غايته فيها، وأنها مجرد جسر إلى الدار الآخرة .. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون: ١١٥.

قال ابن كثير رحمه الله:» وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أَيْ: أَفَظَنَنْتُمْ أَنَّكُمْ مَخْلُوقُونَ عَبَثًا بِلَا قَصْدٍ وَلَا إِرَادَةٍ

مِنْكُمْ وَلَا حِكْمَةٍ لَنَا، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أَيْ: لَا تَعُودُونَ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ القِيَامَةِ: ٣٦، يَعْنِي هَمَلًا .[١]

٢٨- قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

أيْ لِغَيْرِ شَيْءٍ، لا تُؤْمَرُونَ ولا تُنْهَوْنَ، ولا تُثابُونَ ولا تُعاقَبُونَ، والعَبَثُ قَبِيحٌ، فَدَلَّ على أنَّ قُبْحَ هَذا مُسْتَقِرٌّ فِي الفِطَرِ والعُقُولِ، ولِذَلِكَ أنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ إنْكارَ مُنَبِّهٍ لَهم عَلى الرُّجُوعِ إلى عُقُولِهِمْ وفِطَرِهِمْ، وأنَّهم لَوْ فَكَّرُوا وأبْصَرُوا لَعَلِمُوا أنَّهُ لا يَلِيقُ بِهِ، ولا يَحْسُنُ مِنهُ أنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ عَبَثًا، لا لِأمْرٍ ولا لِنَهْيٍ، ولا لِثَوابٍ ولا لِعِقابٍ، وهَذا يَدُلُّ عَلى أنَّ حُسْنَ الأمْرِ والنَّهْيِ والجَزاءِ مُسْتَقِرٌّ فِي العُقُولِ والفِطَرِ، وأنَّ مَن جَوَّزَ عَلى اللَّهِ الإخْلالَ بِهِ فَقَدْ نَسَبَهُ

(١) تفسير ابن كثير ٥/٤٣٥.

إلى ما لا يَلِيقُ بِهِ، وإلى ما تَأْبَاهُ أسْمَاؤُهُ الحُسْنَى وصِفاتُهُ العُلْيا...

واعلم أنه لولا التكليفُ لكان خلق الإنسان عبثا وسدى واللّه يتعالى عن ذلك وقد نزه نفسه عنه كما نزه نفسه عن العيوب والنقائص قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾

قال الشافعي لا يؤمر ولا ينهى ومعلوم أن ترك الإنسان كالبهائم مهملا معطلا مضاد للحكمة فإنه خلق لغاية كماله وكماله أن يكون عارفا بربه محبا له قائما بعبوديته قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

وقال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

وقال: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الأَرْضِ وأَنَّ اللَّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[1]

فهذه المعرفة وهذه العبودية هما غاية الخلق والأمر وهما أعظمُ كمال الإنسان والله تعالى من عنايته به ورحمته له عرضه لهذا الكمال وهيأ له أسبابه الظاهرة والباطنة ومكنه منها.

٢٩- في الحديث ذم للتسويف والتأخير:

لأنه حمل للنفس على المبادرة، واهتبال الأمور. وقد عرف العقلاء بالجد في الأمور وسرعة اغتنام المنافع.

وفي القرآن (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة..) سورة آل عمران.

وجاء في السنة: (بادروا بالأعمال..).

وقدعقَد الخطيب البغدادي رحمه الله بابًا في كتابه «اقتضاء

(١) مدارج السالكين ١/٢٥٢.

العلمِ العملَ» بعنوان: « باب ذم التسويف «وقد جاء فيه:

قِيلَ لرجلٍ من عبدالقيس: أَوْصِ، فقال: احذروا (سوف).

عن الحسن: إيَّاك والتسويف؛ فإنَّك بيومك ولست بغَدِك، فإنْ يكنْ لك غد، فكُنْ في غَدٍ كما كُنتَ في اليوم، وإنْ لم يكن لك غدٌ لم تندمْ على ما فرَّطت في اليوم.

عن قتادة بن أبي الجلد قال: قرَأتُ في بعض الكتب: إنَّ (سوف) جُندٌ من جُندِ إبليس.

قال يوسف بن أسباط: كتَب إلَيَّ محمد بن سمرة السائح بهذه الرسالة:

أي أخي، إياك وتأمير التسويف على نفسك، وإمكانه من قلبك؛ فإنه محلُّ الكلال، ومَوئِل التلف، وبه تُقطَع الآمال، وفيه تنقَطِع الآجال.

٣٠- ضرورةُ العناية بالمرحلة الشبابية والطاقات المتينة فيها:

وبات كل العقلاء والأمم والدول تتحدث عن خطورة هذه المرحلة، وأنها مقدمة النهوض الحضاري والاستراتيجي.

وَقَدْ أولى الإسلامُ هذه المرحلة عناية خاصةً، ونبهت الأحاديث على فصلها وخطورتها، وأشاد القرآن بفضلها وعظمها، وسماها قوةً، كما قال سبحانه:

﴿اللّٰهُ الّذِي خَلَقَكم مِن ضَعْفٍ ثُمّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوّةً ثُمّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوّةٍ ضَعْفًا وشَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وهو العَلِيمُ القَدِيرُ﴾ الروم ٥٤.

قال ابن كثير رحمه الله:

يُنَبِّهُ تَعَالَى عَلَى تَنَقُّلِ الْإِنْسَانِ فِي أَطْوَارِ الْخَلْقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ،

فَأَصْلُهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ، ثُمَّ يَصِيرُ عِظَامًا ثُمَّ يُكسَى لَحْمًا، ويُنفَخ فِيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ضَعِيفًا نَحِيفًا وَاهِنَ الْقُوَى. ثُمَّ يَشِبُّ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَكُونَ صَغِيرًا، ثُمَّ حَدَثا، ثُمَّ مُرَاهِقًا، ثُمَّ شَابًّا. وَهُوَ الْقُوَّةُ بَعْدَ الضَّعْفِ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي النَّقْصِ فَيَكْتَهِلُ، ثُمَّ يَشِيخُ ثُمَّ يَهْرَمُ، وَهُوَ الضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ. فَتَضْعُفُ الْهِمَّةُ وَالْحَرَكَةُ وَالْبَطْشُ، وَتَشِيبُ اللِّمَّة، وَتَتَغَيَّرُ الصِّفَاتُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أَيْ: يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَصَرَّفُ فِي عَبِيدِهِ بِمَا يُرِيدُ، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.[1]

ويمكن لنا العنايةُ بالشباب من خلال الوسائل التالية:

١- التعليم الجيد الرصين : مدارس وجامعات ومعاهد ذات بهجة وجودة وإتقان.

(١) تفسير ابن كثير ٦/٢٦١.

ب- التغذية الإيمانية: من خلال مراكز التعليم وحلق المساجد ومسابقاتها .

ج- تنمية قدراتهم بالدورات والمحاضن التربوية في المدارس وفي ظلال الوزارات المعنية . ولبلادنا المملكة دور كبير في هذا الباب، نفع الله بالجهود، وطابَت المساعي .

ولعله يأتي مزيد لعلاج هذه المشكلة وتوسيع لنقاشها .

٣١- مشكلةُ الفراغ وحلها بالوسائل الناجحة:

والطرق الناجعة، التي تقضي على آثارها، ومن ذلك:

١- فقه معنى الوجود، والغاية الربانية من الخلق ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون: ١١٥.

قال ابن كثير في تفسيره:

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أَيْ: أَفَظَنَنْتُمْ أَنَّكُمْ

مَخْلُوقُونَ عَبَثًا بِلَا قَصْدٍ وَلَا إِرَادَةٍ مِنْكُمْ وَلَا حِكْمَةٍ لَنَا، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أَيْ: لَا تَعُودُونَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ الْقِيَامَة: ٣٦، يَعْنِي هَمَلًا(٣) .

وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أَيْ: تقدَّس أَنْ يَخْلُق شَيْئًا عَبَثًا، فَإِنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُنَزَّهُ عَنْ ذَلِكَ، ﴿لَا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾، فَذَكَرَ الْعَرْشَ؛ لِأَنَّهُ سَقْفُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ، أَيْ: حَسَنُ الْمَنْظَرِ بَهِيُّ الشَّكْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لُقْمَان: ١٠.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

قَوْلُهُ تَعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكم عَبَثًا وأَنَّكم إلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾

أيْ لِغَيْرِ شَيْءٍ، لا تُؤْمَرُونَ ولا تُنْهَوْنَ، ولا تُثابُونَ ولا تُعاقَبُونَ، والعَبَثُ قَبِيحٌ، فَدَلَّ عَلى أنَّ قُبْحَ هَذا مُسْتَقِرٌّ فِي الفِطَرِ والعُقُولِ، ولِذَلِكَ أنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ إنْكارَ مُنَبِّهٍ لَهم عَلى الرُّجُوعِ إلى عُقُولِهِمْ وفِطَرِهِمْ، وأنهم لَوْ فَكَّرُوا وأبْصَرُوا لَعَلِمُوا أنَّهُ لا يَلِيقُ بِهِ، ولا يَحْسُنُ مِنهُ أنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ عَبَثًا، لا لِأمْرٍ ولا لِنَهْيٍ، ولا لِثَوابٍ ولا لِعِقابٍ، وهَذا يَدُلُّ عَلى أنَّ حُسْنَ الأمْرِ والنَّهْيِ والجَزاءِ مُسْتَقِرٌّ فِي العُقُولِ والفِطَرِ، وأنَّ مَن جَوَّزَ عَلى اللَّهِ الإخْلالَ بِهِ فَقَدْ نَسَبَهُ إلى ما لا يَلِيقُ بِهِ، وإلى ما تَأْباهُ أسْماؤُهُ الحُسْنى وصِفاتُهُ العُلْيا.

واعلم أنه لولا التكليف لكان خلق الإنسان عبثا وسدى والله يتعالى عن ذلك وقد نزه نفسه عنه كما نزه نفسه عن العيوب والنقائص قال تعالى: ﴿أفَحَسِبْتُمْ أنَّما خَلَقْناكم عَبَثًا وأنَّكم إلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾ وقال: ﴿أيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾

قال الشافعي لا يؤمر ولا ينهى ومعلوم أن ترك الإنسان

كالبهائم مهملا معطلا مضاد للحكمة فإنه خلق لغاية كماله وكماله أن يكون عارفا بربه محبا له قائما بعبوديته قال تعالى:

﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونِ﴾

وقال: ﴿لِتَعْلَمُوا أنَّ اللَّه عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وأنَّ اللَّه قَدْ أحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

وقال: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أنَّ اللَّه يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ وأنَّ اللَّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

فهذه المعرفة وهذه العبودية هما غاية الخلق والأمر وهما أعظم كمال الإنسان والله تعالى من عنايته به ورحمته له عرضه لهذا الكمال وهيأ له أسبابه الظاهرة والباطنة ومكنه منها .

ب- تربيةُ النفس على العمل ومحبة التحرك والانجاز، وما يعرف بالعصامية في الحياة .

ج- الاندراجُ في العمل الاجتماعي والتطوعي لشغل الفراغ، وتحقيق الانشراح النفسي .

د- القراءةُ يوميا ولو كانت يسيرة، فيقبح بشبابنا تقصيرهم المعرفي والعقلي، وأول آية في قرآنهم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ..﴾ العلق:١.

هـ- الخدمات العائلية كرعاية الوالدين والتفاني في محبتهم وشغل الروح لراحتهم والانتفاع الزماني بذلك .

و- مجالسة الرفقة الطيبة، التي تعين وتسدد وترقّي، ففي ذلك تعلّم وانشغال وضبط للسلوك والعقل والاهتمامات .

٣٢- المسارعةُ في المغانم ضرب من نشاط الهمة وعلوها، والمؤمن مندوب الى ذلك:

لأن الهمة تعني استنقاص ما دون النهاية من معالي الأمور،

واعتياد هذا المنهج يشحذ الروح والجسد، ويداني الأماني والتطلعات، وهو ما يحتاجه أكثر الناس، لا سيما الطبقات الشبابية .

قال تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ البقرة: ٦٣ .

وقد تمدح الحكماء والشعراء بحب الهمة وعلوها

قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه : (لا تصغُرَنَّ همتكم؛ فإني لم أرَ أقعدَ عن المكرمات من صغر الهمم)

- وقال مالك رحمه اللّه : (عليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتقِ رذائلها وما سفَّ منها؛ فإنَّ اللّه تعالى يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها).

وقال ابن الجوزي رحمه اللّه: (من علامة كمال العقل علوُّ الهمة، والراضي بالدون دني)

- وقال ابن القيم رحمه اللّٰه: (فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصف بكلِّ خلق جميل. ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتصف بكلِّ خلق رذيل).

٣٣- أن إهمال هذه المغانم سينتهي حتما الى الأسف والندامة .

٣٤- أن العنايةَ بهذه الأمور الهنية هي معالمُ النهوض الذاتي للأفراد والأمم والمجتمعات، وما تخلفت إلا بسبب تضييعها إياها .

٣٥- أن الاستفادةَ منها إنما تكون في الإطار الشرعي، المقرب من اللّٰه، وليس في التفاخر والتفاهات، أو العدوانية والاستعلاء.

٣٦- أنّ الاستثمارَ الأمثل للطاقات الشبابية:

من شأنه تغيير المفاهيم، وإصلاح الأجيال، والمحافظة على

القيم والأخلاق، ومن الطرائق النافعة في ذلك :

أولًا: تربيتهم التربية الإيمانية والأخلاقية: منذ نعومة الأظفار، وانظر لقوله عليه الصلاة والسلام في الوصية الذهبية لابن عباس رضي الله عنه، والتأسيس العقدي له..(غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ).

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.[١]

ويقول الغزالي رحمه الله : «الصبي أمانةٌ عند والديه، وقلبه

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦).

الطاهر نفسية ساذَجة، خالية من كل نقشٍ وصورة، وهو قابل لكل ما يُنقش عليه، ومائل إلى كل ما يحال إليه، فإن عُوِّد على الخير وعُلِّمَه، نشأ عليه، وسعِد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكلُّ معلِّم له ومؤدِّب، وإن عوِّد الشرَّ وأُهمل إهمال البهائم، شقِي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه والوالي»[1]

ثانيًا: تمكينهم من التعليم الجيد : وهو ما تحرص عليه أكثر الأمم والدول هذه الأيام، ويتفاوتون حرصًا وجودة، ولكن النية الجادة والأساليب العملية تصنع الفوارق والنتائج بينها .

ثالثًا: فتح آفاق النجاح والإبداع لهم: من خلال التعليم المستدام، والفرص المتاحة، ودعم المشاريع والأفكار، واستيعاب مطالبهم وغاياتهم .

(١) إحياء علوم الدين، ٣/٧٢.

رابعا: حمايتهم من سبل الانحراف والانفلات الشهواني: لئلا يكونوا فرائس سهلةً للإعلام والسوشل ميديا، وجعلهم منتجين فيها نافعين.

خامسًا: تحويلهم لمنتج ديني ووطني مفيد: عبر المشروعات المحلية والذاتية، والمسبوقة بالتعليم الجيد، والتثقيف المتين، والتدريب المثمر.

سادسا: إبراز المثل العليا في حياتهم تعليما وسلوكا كالشخصية النبوية، وتراجم السلف، وأفذاذ الإسلام، فبهم يعرف المنهج، وتعظمُ العلوم، وتفقّه الحياة، وتستطاب الهداية.

سابعًا: غرس حب الإنتاج والقراءة والإفادة في حياتهم، وفهم توجهاتهم، حتى لا يبيتوا عالةً على مجتمعاتهم.

يقول البشير الإبراهيمي رحمه اللّٰه :

«ما قيمة الشباب؟ ... بل ما قيمة الكهولة؟ ... بل ما قيمة المشيب؟ ... ما قيمة ذلك كله؟ إذا لم تُنفَق دقائقه في تحصيل علم، ونصر حقيقة، ونشر لغة، ونفع أمة، وخدمة وطن»[1]

« تربية الشبيبة الإسلامية على الدين والفضيلة والتقوى... هي الباقيات الصالحات التي ينبغي على المدرّس والخطيب أو المحاضر أن يغرسها في نفوس الشباب ويجتثّ منها أضدادها»[2]

« وكيف نَطمَع في التبشير بالإسلام في الأقطار الوثنية إذا لم نُجهِّز جيشًا من الشباب ونسلّحهم بالسلاح اللازم لذلك من أخلاقٍ أقواها العزيمة والتضحية والصبر على المكاره وتحمُّل المشاق، فلم ينتشر الدين في أوّل أمره إلا برجالٍ من هذا الطِراز العالي» .[1]

(١) البشير الإبراهيمي | الآثار ٣/ ٥١١-٥١٢.

(٢) البشير الإبراهيمي | الآثار ٥/ ٣٠١.

وإنما قام الإسلامُ وعزَّ وانتصر بجيل الشباب. لقد كان صحابة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه شباباً أشداء، تحملوا ما لا يتحمله غيرهم .

فهذا أسامة بن زيد رضي اللّٰه تعالى عنهما أمّره رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم على الجيش وكان عمره ثماني عشرة سنة.

وهذا عتّاب بن أَسيد رضي اللّٰه تعالى عنه استعمله النبي صلى اللّٰه عليه وسلم على مكة لما صار إلى حنين وعمره نيف وعشرون سنة.

وليس عجيبا أن يبزغَ الشباب، ويبلغوا المراقي، وعلينا تدريبهم وتفعيل مواهبهم .

قال يحيى بن معين رحمه اللّٰه تعالى للإمام أحمد بن حنبل

رحمه اللّٰه وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي: « يا أبا عبد اللّٰه! تركت حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه؟! فقال له الإمام أحمد: لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر؛ إن علم سفيان إن فاتني بعلو أدركته بنزول، وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لن أدركه بعلو ولا نزول» .

٣٧- في الحديث إيماءة بالعناية بالأعمال الأخروية فهي محل الاغتنام، ومادةُ الاهتبال، بل لا يكونُ اغتنامًا حقيقيا الا ما كان في مرضاة اللّٰه، فهو المتجر الرابح، والمخزون الفائح، والمرتقى الصالح .

فعش صلاحا في تلك النعم، ولا تجعل غضب اللّٰه يحل عليك فطاعاتك هي مصدر أمانك، وبابة سعادتك.

يقول الإمام ابن القيم رحمه اللّٰه :

« فإن الطاعة حصن اللّٰه الأعظم، من دخله كان من الآمنين

من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمن أطاع اللّه انقلبت المخاوف في حقه أماناً، ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوف، فلا تجد العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر، إن حركت الريح الباب قال: جاء الطلب، وإن سمع وقع قدم خاف أن يكون نذيرا بالعطب، يحسب أن كل صيحة عليه، وكل مكروه قاصداً إليه، فمن خاف اللّه آمنه من كل شيء، ومن لم يخف اللّه أخافه من كل شيء» .[1]

٣٨- يشبه بعضُ معانيه حديث ابن عمر في الصحيح:

(قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ

(١) الداء والدواء ص ١١٤ .

الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ ». وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وحكى الحافظُ ابن رجب رحمه اللّٰه في الجامع:

رُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَالْحَسَنِ أَنَّهُمَا قَالَا: ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي هَدْمِ عُمْرِكَ مُنْذُ سَقَطْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ، وَمِمَّا أَنْشَدَ بَعْضُ السَّلَفِ:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالأَيَّامِ نَقْطَعُهَا	وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الأَجَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا	فَإِنَّمَا الرِّبْحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ

قَوْلُهُ: «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»، يَعْنِي: اغْتَنِمِ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا السَّقَمُ، وَفِي الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا الْمَوْتُ، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنَّكَ يَا عَبْدَ اللّٰهِ لَا تَدْرِي مَا اسْمُكَ غَدًا» يَعْنِي: لَعَلَّكَ غَدًا مِنَ

الْأَمْوَاتِ دُونَ الْأَحْيَاءِ. وَقَدْ رُوِيَ مَعْنَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وُجُوهٍ، فَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» .

وَقَالَ غُنَيْمُ بْنُ قَيْسٍ: كُنَّا نَتَوَاعَظُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ: ابْنَ آدَمَ اعْمَلْ فِي فَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَفِي شَبَابِكَ لِكِبَرِكَ، وَفِي صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَفِي دُنْيَاكَ».[1]

٣٩- إنما يسلي المؤمن الغانم لذلك بعد ذهابها:

ذكراها الطيبة، وحفظها بعد العوارض، جاء في حديث أبي موسى رضي الله عنه (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا).[2]

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٣٨٧ .

(٢) البخاري (٢٦٩٦).

قال في الفتح:

قال ابن بطال: وهذا كله في النوافل، وأما صلاة الفرائض فلا تسقط بالسفر والمرض والله أعلم. وتعقبه ابن المنير بأنه تحجر واسعا، ولا مانع من دخول الفرائض في ذلك، بمعنى أنه إذا عجز عن الإتيان بها على الهيئة الكاملة أن يكتب له أجر ما عجز عنه، كصلاة المريض جالسا يكتب له أجر القائم انتهى. وليس اعتراضه بجيد لأنهما لم يتواردا على محل واحد، واستدل به على أن المريض والمسافر إذا تكلف العمل كان أفضل من عمله وهو صحيح مقيم.

٤٠- أن الشخصيةَ المسلمة شخصية جادة مبادرة:

تنطبق على معاني الحديث وهو اللائق بها، فيبقى المسلم

يقظًا حريصا، لا كسِلا نؤوما، وقد علمنا صلى اللّٰه عليه وسلم الجد والمبادرة والاستعاذة من الكسل والعجز، كما في الصحيح: عن أنسٍ رضي اللّٰه عنه قال:» فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ ».[1]

العجز : هو عدم القدرة على فعل الشيء .

الكسل : التثاقل عن الفعل مع القدرة عليه .

قال ابن القيم رحمه اللّٰه :

«الإنسان مندوب إلى استعاذته باللّٰه تعالى من العجز والكسل، فالعجز عدم القدرة على الحيلة النافعة، والكسل عدم الإرادة لفعلها، فالعاجز لا يستطيع الحيلة، والكسلان لا يريدها».[2]

(١) البخاري (٢٨٩٣) مسلم (٢٧٠٦).

(٢) «إعلام الموقعين» (٣/٣٣٦) .

٤١- لفقه مرحلة الشباب ولذتها:

لينظر أحدنا للشيخوخة والهرم، وما يصاحبها من ضعف وأسقام وتقصير عن المهمات .(وشبابك قبل هرمك).

قال النووي رحمه الله :

«أَمَّا اِسْتِعَاذَته صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْهَرَم فَالْمُرَاد بِهِ الِاسْتِعَاذَة مِنْ الرَّدّ إِلَى أَرْذَل الْعُمُر كَمَا جَاءَ فِي الرِّوَايَة الَّتِي بَعْدهَا وَسَبَب ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ الْخَرَف وَاخْتِلَال الْعَقْل وَالْحَوَاسّ وَالضَّبْط وَالْفَهْم وَتَشْوِيه بَعْض الْمَنَاظِر وَالْعَجْز عَنْ كَثِير مِنْ الطَّاعَات وَالتَّسَاهُل فِي بَعْضهَا» .

٤٢- أن استثمار هذه النعم في أوقاتها:

يقضي على أدواء الكسل والعجز، ويربي صاحبه على الفاعلية والإنتاج والتنافس.

٤٣- أن الحياة غنائمُ وفرص:

وفي داخل الغنائم الموصوفة غنائم صغرى، لا يلتفت لها، جديرٌ بنا اعتمادها والعض عليها بالنواجذ، فثمة نعم يسخرها اللّه في أوقات شبابنا وصحتنا وفراغنا، كالبيت والأمن ودنو الطعام رغدًا من كل مكان، والجليس الصالح، والأساتذة والمربين.

٤٤- أنّ الاستعداد السريع لهذه النعم:

مقدمة لتحسن الأحوال المتأخرة، وحفظ العقل والأعضاء، فالتغذية الإيمانية والعلمية المبكرة عامل متين في حفظ الانسان وصحته .

حكي عن أبي الطيب الطبري رحمه اللّه أحد علماء الإسلام بلغ من العمر سبعين سنة، وبينما هو على سفينة وصلت إلى

الشاطئ لكن اليابسة بعيدها تحتاج إلى قفز وقوة فما استطاع الشباب واستطاع هو القفز، فاستغرب الشباب مندهشين، فقال « هذه جوارح حفظناها وقت الصغر، فحفظها اللّه لنا وقت الكبر» .

وفي الحديث الصحيح : «احفظ اللّه يحفظك ». وقد تقدم ذكره.

٤٥- أن حق المغانم إذا سنحت أن لا تُضيعَ:

ولا يزهدَ فيها كالطعام الشهي على مسغبة، والمال الوفير على حاجة، والقصر المنيف على استئجار، والماء البارد على عطش، والأمن الرغيد، على حروب وشتات.

٤٦- تأملات تردي الصحة:

وانقشاع حلاوة الشباب، وزهرة الغنى، والانطلاق بلا

معوقات كافٍ في تجلية الرسالة الإلهية والنعم الربانية، وأن العقلاء يسارعون مع المسارعين، ولا يخوضون مع الخائضين .

تقول حفصة بنت سيرين رحمها اللّه : (يا معشر الشباب اعملوا! فإني رأيتُ العمل في الشباب هو القوة؛).

٤٧- أن النعمَ المهدرة والخيرات المضيعة قد تنقلب نقماً وتعاسات، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ إبراهيم ٢٨ .

يقول ابن سعدي رحمه اللّه:

« يقول تعالى - مبينا حال المكذبين لرسوله من كفار قريش وما آل إليه أمرهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ ونعمة اللّه هي إرسال محمد صلى اللّه عليه وسلم إليهم، يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا والآخرة وإلى النجاة

من شرور الدنيا والآخرة، فبدلوا هذه النعمة بردها، والكفر بها والصد عنها بأنفسهم.

﴿و﴾ صدهم غيرهم حتى ﴿أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ وهي النار حيث تسببوا لإضلالهم، فصاروا وبالا على قومهم، من حيث يظن نفعهم، ومن ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم « بدر » ليحاربوا اللّه ورسوله، فجرى عليهم ما جرى، وقتل كثير من كبرائهم وصناديدهم في تلك الوقعة».

وتحويلها لمعاصٍ من أقبحِ المسالك، قال ابن القيم رحمه اللّه:

« ومنْ عقوباتِ الذنوبِ: أنَّها تُزيلُ النّعمَ وتحلُّ النّقمَ، فما زالتْ عنِ العبدِ نعمةٌ إلا بذنبٍ، ولا حلَّتْ به نقمةٌ إلَّا بذنبٍ، ولا رُفعَ بلاءٌ إلا بتوبةٍ؛ كما قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي اللّه عنه:

«ما نزلَ بلاءٌ إلَّا بذنبٍ، ولا رُفِعَ بلاءٌ إلَّا بتوبةٍ»

٤٨- يشيع في سياق المبادرات حديثُ الترمذي، ذو لفظ جميل، وسند ضعيف (بادِرُوا بِالأعمالِ سبعًا، هل تَنظُرُونَ إلَّافَقرًا مُنْسِيًا، أو غِنًى مُطْغِيًا، أو مَرَضًا مُفسِدًا، أو هَرَمًا مُفنِّدًا، أو مَوتًا مُجْهِزًا، أوالدَّجالُ، فشَرُّ غائِبٍ يَنتَظِرُ، أو الساعةُ، فالساعةُ أدْهَى وأمَرُّ).[١]

بَابٌ : مَا جَاءَ فِي الْمُبَادَرَةِ بِالْعَمَلِ

قال المحدّث الألبانى رحمه اللّه معلقا على الحديث:

فى سنده ضعف كما بينته فى (سلسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة واثرها السئ على الأمة ١٦٦٦) ولم اجد له شاهدا فى إسناده محرز بن هارون وهو ضعيف.

قال العقيلى فى ترجمة محرز بن هارون قال البخارى منكر

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٦)

الحديث) و كذلك اخرجه الحاكم (٤/ ٢٢١) وفيه رجل مجهول

بين معمر و سعيد المقبُرى . (٢٠٣٦)

٤٩ إنما يمنع من هذه المغانم:

اتباع الهوى، وصحبة التافهين، والجهالة المتراكمة، والغفلات

الضاغطة، والاغترار الدنيوي، ومطالعة السخف الفضائي

والالكتروني، وقد كان من دعاء النبي صلى اللّه عليه وسلم :

(اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همما، ولا مبلغ علمنا).

٥٠- أن في هذا الاغتنام وإن شق ابتداءً:

لـذةً وسـرورا ومتاعاً الى حين، فالعبرة بكمال النهايات لا

بنقص البدايات، قال أبو تمام الطائي:

بصرتَ بالراحة الكبرى فلم ترها... تنالُ إلا على جسرٍ من

التعبِ

وقال ابن القيم رحمه اللّٰه : «قد أجمع عقلاء كل أمة على أنّ النعيم لا يُدرك بالنعيم وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأنه بقدر الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا همّ له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له».[1]

(١) مفتاح دار السعادة ٢/١٥ .

تم ما أريدُ تقييده في (ينابيع الأنس
بفوائد حديث اغتنم خمسًا قبل خمس)
نسأل الله تمام الانتفاع، وبلوغ الفقه
والارتقاء .
والحمدُ لله رب العالمين .

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٦٠) كتاب منها :

- سلالمُ العلمِ ومدارجُ الفهم .
- الخطبُ الحديثية
- أربعون المعالي
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني
- نثار العلم
- من جماليات السيرة النبوية
- محائليات (شعر).
- اليَراعةُ الرمضانية

- مواقفُ علمية للأئمة الأسلاف.

- طلعةُ الشمس (سنن نورانية).

- وكلها من (دار تكوين).

- طلائعُ السلوان - دار ابن خزيمة .

- نسماتٌ من أم القرى .

- مواتُ المروءة (شعر).

- وطن ومنن (شعر).

- الطِّلاب الأعظم (شعر)

- فهزموهم بإذن اللّٰه (شعر).

- توهجات النيل(شعر).

- كورونا وليمونا (شعر).

- مدائن الألباني.(شعر).

- عاصفة الحزم (شعر).

- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .

- سلسلة أربعينيات حديثية متنوعة .

- أزاهير الروضة

- شجن المنابر

- قواعد قرآنية لفهم الدعوة .

- مقدمات التغيير النبوي .

- من جماليات السيرة .

- الاحتفالُ بالسبع الطوال .

- محاسن التزيين بمعاني المئين

- حسنُ التداني من لبّ المثاني .

- شجنُ المنابر وهتنُ المحابر.

- مسامرات أدبية على أنغام المتنبي.
- اغتنامُ الدرر من سورة العصر .
- النسيمُ البحري من أسرار رب اشرح لي صدري.
- متعةُ الهيمان من أسرار ثلث القرآن.

ومن الدواوين:

- توهجات النيل.
- عاصفة الحزم.
- العسل الماذي
- وطن ومنن .
- قائم وحصيد .
- مدائنُ الألباني .
- فهزموهم باذن اللّه.

- محائليات
- موات المروءة
- الطلاب الأعظم.
- كورونا وليمونا .
- مراسيل واتسية.

للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

